المجلة العلمية للتربية النوعية والعلوم التطبيقية
The Scientific Journal of Specific Education and Applied Sciences

الفن وفكرة الوقت

أ.د. محسن عطيه

المستخلص:

يتناول هذا المقال علاقة الفن بفكرة الوقت، ويفترض أن الفنانين على مر التاريخ انشغلوا بفكرة الوقت في ممارساتهم الفنية، مثلهم مثل العلماء والفلاسفة وصناع الساعات، ولكن السؤال هنا " هل تناول الفنانين لفكرة الوقت في أعمالهم الفنية كان بنفس طريقة العلماء أوصناع الساعات؟" ويفترض هنا أن الزمن ورموزه وفكرة مرورالوقت، التي شغلت الفنانين منذ زمن سحيق، ولكن بطريقة مختلفة، تعكس نسبية علاقة الإنسان بفكرة الوقت، وأن تناولها في الإبدعات الفنية كان بطرق مختلفة، غامضة وجميلة ومثيرة، على أساس أن هذه العلاقة شخصية ومتنوعة. وأن الفن يعد جزءًا من الثقافة، بل هو المرآة الحقيقية للعقول.

Art and the idea of time

Prof. Dr. Mohsen Attia

This article deals with the relationship of art to the idea of time. It assumes that artists throughout history have been preoccupied with the idea of time in their artistic practices, just like scientists, philosophers, and watchmakers. But the question here is, “Did artists deal with the idea of time in their artistic works in the same way as scientists or watchmakers?” It is assumed here that time, its symbols, and the idea of the passage of time, which have occupied artists since time immemorial, but in a different way, reflect the relativity of man’s relationship with the idea of time, and that it was dealt with in artistic creations in different ways, mysterious, beautiful, and exciting, on the basis that this relationship is personal and diverse. Art is part of culture, but rather it is the true mirror of minds.

كان للوقت تأثيركبير فى عالم الفنون البصرية، حيث رسم الفنانون رموزًا مختلفة للوقت من أجل التعبيرعن تأثيره كسؤال فلسفى ينعكس فى الوجود البشرى، أو أحداثًا مهمة فى التاريخ من أجل تمثيل مرورالوقت بين "السكون" و"الوقت الداخلى" و"الوقت الخارجى"و"سيولة الوقت ". بقدر ما للتصورات الفنية من القدرة على التأثيرالعميق للغاية. كذلك يمكن للتعبير البصرى أن يسلط الضوء على القضايا الأخلاقية، كما يمكنه أن يمنح الناس رؤى جديدة حول الزمان والمكان وبسبب المنظورالمختلف الذى يستخدمه الفنانون، فلذلك تختلف تعبيرات مفاهيم الوقت من فنان إلى آخر منهم. غيرأن "تفسير معنى العمل الفني يتطلب معرفة واسعة بتاريخ الأفكار والمعتقدات المعاصرة، لأن التفسير يرتبط بمستوى الاستيعاب المعرفي لثقافة العصر."(محسن عطيه، ٢٠٠٧،ص١٥) والرسم الجدارى من الفن المصرى القديم (طيبة،الدولة الحديثة) وعلى الجدار الشرقى لسرداب مقبرة"سن-نجم" المقبب يصورهما فى حقول "أيارو" (1295-1213 قبل الميلاد) حيث يظهر"سن-نجم " وزوجته "أي نفرتي"، وهما يحصدان الحبوب ويزرعان البذور ويسحبان الكتان فى الحقول الوفيرة فى العالم الآخر. والفنان المصرى القديم الذى عكس من خلال طريقة تمثيلة للوقت ثقافةالمجتمع الزراعى، فنجده يعبر عن مرورالزمن، تبعاً لتغيرالمواسم الزراعية مما اتخذ شكل تتابع الصور المتجاورة بنظام معرفى،وهذا الترتيب المتسلسل، يشير إلى" الزمن" المرتبط بالإله" أوزوريس" حيث له بداية ونهاية ، ونهايته فى المستقبل البعيد بلا حدود. وذلك يختلف عن منظور"الزمن الدورى" ، والذى اتبعه الفنان المصرى فى موضوعات أخرى مرتبطة بمرور الشمس عبر السماء أثناء النهار والعالم السفلى أثناء الليل. و تمثيل الزمن فى الفن المصرى القديم بهذا الترتيب يحقق فكرة الخلود التى تتوقف على اتباع مبادئ "ماعت" أى بالمحافظة على النظام وعلى الترتيب الصحيح لكون عادل .

سن-نجم وزوجته يزرعان فى العالم الآخر(1295-1213 قبل الميلاد)

هكذا ارتبط تغير الوقت بالمواسم، وحتى بعد اختراع الساعة الميكانيكية فى القرن الرابع عشر، كان معظم الناس أقل اهتمامًا بمرور الوقت فى حياتهم اليومية مما نحن عليه اليوم. وفى الفن الغربى، وفقًا لهذه المفاهيم التقليدية، كان يتم تجسيد الوقت، برجل عجوز، يحمل منجلا وأحيانًا مصحوبًا بساعة رملية. وقد تضمنت الموضوعات الشائعة المراحل العمرية الثلاثة للإنسان، وبانقضاء الفصول، وبنهاية الملذات الدنيوية العابرة والوجود الأرضى. كان التركيز بقوة على الزوال الحتمى للحياة، مقارنة بالمجد الأبدى والخالد للملكوت الإلهى.

ومنذ القرن الأول استطاع الفنان الهلينستي تصوير"اللحظة المجمدة" فى تمثال "اللاوكون وأبنائة" Laocoön،(القرن الثاني قبل الميلاد) وهو تمثال ضخم من الرخام، حيث جمد لحظة واحدة بحركة مكثفة، تجسد الألم. ووفقًا للملحمة الإغريقية، عندما قام اليونانيون بتسليم حصان طروادة إلى أبواب مدينة "طروادة" على أمل اختراق دفاعاتهم، حاول "لاوكون"(كاهن

طروادة) تحذير أهل المدينة من حيلة اليونانيين، أرسلت الإلهة "أثينا"، ثعابين بحرية عملاقة لقتل اللاوكون وأبنائة.

"اللاوكون وأبنائة" نسخة من الأصل الهلينستي (القرن الثاني قبل الميلاد).

وهناك المواضيع التي شملت أعمارالإنسان الثلاثة، وانقضاء الفصول، ونهاية الملذات الدنيوية الزائلة، مقارنة بالمجد الأبدي والخالد لملكوت الله. أما فى القرن السادس عشر فقد رسم الفنان الإيطالي"تيتسيانو فيسيليو" Tiziano Vecellio (١٤٩٠-١٥٧٦) لوحة بعنوان"رمزية الحكمة"(١٥٤٥) تجمع بين ثلاثة رؤوس بشرية، كل منها يواجه اتجاهًا مختلفًا بالإضافة إلى ثلاثة رؤوس حيوانات (الذئب والأسد والكلب). والشخص ينظر إلى الأمام في المركز يتمتع بفطنة وذكاء الأداء في الوقت الحاضر، رمزاً إلى أن شخصية الإنسان فى مرحلة نضجه وقوته وهو يواجه الحياة بمسؤولية، أما صورة الرجل العجوز فهي صورة ذاتية للرسام، تمثيلاً للماضي، ويبدو أكثر ضبابية وبالكاد يقع الضوء عليه، وكأنه يطفئ الأضواء فى حياته ،وتمثل صورة الشاب المستقبل، وهو بلا ظلال، فلا تزال الحياة لم ترسم التجاعيد. وتعتباراللوحةعملاً مفاهيمياً، يمثل فكرة المراحل العمرية

للإنسان وخصائصها (الشباب والنضج والشيخوخة). لقد تميز نمط "تيتسيانو" في الرسم "بطريقة عميقة خلاقة، وراءها عقلية مفكرة."(محسن عطيه ،٢٠٠٢،ص١٣٧)

تيتسيانو،"بورتريه ذاتى" ،(١٥٦٦).

وبينما أصبحت "الرومانسية "تمثل رد الفعل المضاد لعصر"التنوير"الذى هيمن عليه "العقل والمنطق"، اتخذت العواطف والمشاعر الذاتية مكانتها، في عالم الفن، حيث بدا الفنانون وكأنهم يتغنون بفكرة مرور"الوقت". أما لوحات "غروب الشمس" فكانت بمثابة الطريقة الملائمة للتعبيرعن مرورالوقت وتمثل تجربة الإنسان لنقل عواطفه ومشاعره الذاتية تجاه الوقت.والفكرة التي كانت وراء رسم لوحة "فرانسيسكو دى جويا" "Francisco de Goya" (١٧٤٦-١٨٢٨) الشعور باستبداد"الوقت" وقد عثر الفنان على تمثيل لفكرته صورة"كرونوس"وهو إله "الزمن" عند اليونان، على اعتبار أنه مسيطر على الكون، لكنه شعر بالتهديد من نبوءة أعلنت أن أحد أبنائه سوف يطيح به. ولتجنب ذلك، التهم أطفاله. وعادة يصور الرسامون "كرونوس" كشخص بالغ كبيرالسن، بينما يفاجىء" جويا " المشاهد بصورة غريبة ورائعة، تجسد اللحظة جنون أكل لحوم البشر. ومن المحتمل أن الفنان رسم هذا المشهد خلال سنواته الأخيرة، كصورة مظلمة تمثل حالة الضعف والشعور بالموت الوشيك. ويحتمل أيضاً أن لديه

اعتقاد بالتأثيرالفلكي على الحالة المزاجية للإنسان. وهناك التفسيرات الأخرى لهذه اللوحة المرتبطة بالسياق السياسى الإسبانى المعاكس للوقت، بالإضافة إلى الاستنتاجات النفسية حول حالة"جويا" العقلية، على اعتبار"أن العمل كان صورة ذاتية للفنان وبتأثير الزمن عليه والذي أدى إلى تدهوره صحياً." (John J. Ciofalo : (2001) pp. 159-160)

جويا ،"كرونوس "(١٨٢١-١٨٢٣).

وما أدى إلى تغيير تصور الوقت هو اختراع التصويرالفوتوغرافى فى ثلاثينيات القرن التاسع عشر، على أساس أنه مناسب تمامًا لتمثيل "الوقت"، نظرًا لأن الفيلم الحساس يتيح تسجيل الضوء وحركة الشيء أمام العدسة ، إمكانية إجراء تعريضات قصيرة جدًا. ويبدو أن الحركة تتجمد لحظة فى

المكان.وقد أجريت دراسات "كرونوفوتوجرافية" مذهلة حول تصوير الوقت، أظهرت مراحل متتالية من الحركة المستمرة فى صورة واحدة .

وعندما بدأت الحركة الانطباعية منذ سنة ١٨٧٤مع "كلود مونيه" وإدجار ديجا، فى "باريس"حيث سمحت طريقتهم للرسم فى الطبيعة، بمراقبة أنماط الضوء والطقس المتغيرة في أعمالهم ، نتج عن ذلك تصوير لحظات التغيير العابرة، مثل شروق الشمس ، صعود دخان القطارات. وكان قد سمح استخدام الألوان فى أنقى صورها للفنانين بتصويرالطبيعة المؤقتة للضوء بشكل أفضل. وأنجزوا لوحاتهم بفرشاة أكثر مرونة، وصوروا لحظات زمنية عابرة . وأراد الرسام "كلود مونيه" Claude Monet (١٨٤٠-١٩٢٦)بتطوير تجربته الفنية، برسم سلسلة للموضوع الواحد مرارا وتكرارا. كانت فائدة هذا النهج هي قدرته على التقاط تأثيرات ضوئية مختلفة على نفس الموضوع مع تغير ظروف الطقس والإضاءة. لقد رسم"مونيه"سلسلة لوحات"أكوام التبن"(١٨٩٠-١٨٩١) معتمداً" على حدسه وبديهته في رصد انطباعاته، التي تتبدل مع تغير الكبيعة في أوقات مختلفة من النهار."(محسن عطيه: ٢٠٢٠،ص٣٢)

"مونيه"سلسلة لوحات"أكوام التبن"(١٨٩٠-١٨٩١)

رسم مونيه ٢٥ نسخة من "أكوام التبن" هذه على مدار فصل الصيف والشتاء وحتى الربيع . حيث تتغير الألوان والظلال مع تقلب الفصول. وبرسم السلسلة استطاع "مونيه" توسيع مجال الرسم ليشمل الظروف

المتغيرة للموضوع على مدى فترة من الزمن. وقد نقل نطاق تقنية العمل الفني إلى ما وراء هدف تسجيل "ما يرى" والتوصل إلى المفهوم الأوسع لفكرة "كيفية النظر". كان هذا التحول في الإدراك هو الذي رفع عمله فوق معاصريه ورسخه ، ليس فقط باعتباره أعظم الانطباعيين ولكن باعتباره " فنانًا حديثًا ".

وعلى عكس الصورالتقليدية للرقص على خشبة المسرح رسم "إدجار ديجا" EdgarDegas (١٨٣٤-١٩١٧) لوحات لراقصات الباليه، استطاع برسمها التاثير بوجود حركة بطريقة مدهشة.وفي لوحة "راقصة مع باقة زهور" (١٨٧٨) تنهى راقصة الباليه عرضها بحركة على شكل قوس، وهي تتلقف باقة الزهور من جمهورها. وفي لوحات أخرى أظهر الفنان الراقصين أثناء الأداء، وفى وقت الراحة أو فى الكواليس، وأثناء التدريب، يحرك أجسادهم المترددة. والفرصة التى قدمها الباليه، وفرتها التأثيرات المؤقتة للإيماءات، والإحساس بالحركة التى تم توقيفها ، والفورية والتقاط لحظة من الواقع المسروق من تدفق الوقت." والظاهر أن هدف الفنان هو التقاط " لحظة توقف في الزمن.لا أحد غير رسام معني بالحركة جداً كان باستطاعته لأن يرسم غيابها."(آلان باونيس : ١٩٩٤،ص٥٥.)

راقصة مع باقة زهور (١٨٧٨).

كان تصويرالحركة هو الشغل الشاغل للعديد من الفنانين فى أوائل القرن العشرين، ولا سيما التكعيبيين والمستقبليين. قام "ايدويرد موبيريدج"بأهم دراساته الفوتوغرافية للحركة من عام ١٨٨٤ إلى عام. صورلأنشطة مختلفة

لشخصيات بشرية، والتي كان من المفترض أن تشكل خلاصة مرئية للحركات البشرية لاستخدام الفنانين والعلماء. سلسلة من الصور الفوتوغرافية بواسطة "موبيريدج".

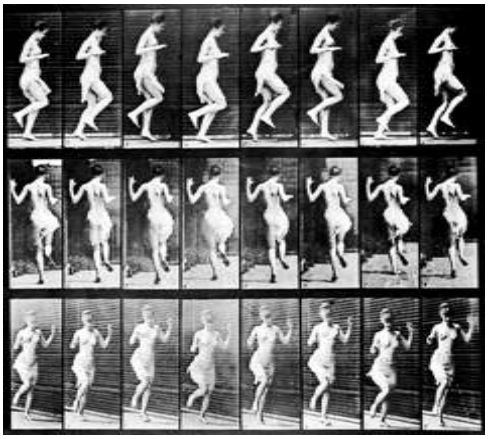

ايدويرد موبيريدج، قفز الشكل1887

وبدلاً من دمج الوقت فى العمل الفني، يفكرالفنانون غالباً في فكرة الخلود.إذ أن معظم الأعمال الفنية التقليدية تلتقط لحظة من الزمن وتبقى مجمدة طوال بقاء القطعة الفنية. أما الفنان الفرنسى"إتيان جول مارى"Marey Etienne-Jules (١٨٣٠-١٩٠٤) فإنه استفاد من خاصية سرعة التصويربالكاميرا، فى عمله بعنوان" هبوط المستوى المائل" (١٨٨٢) فالتقط صورا فوتوغرافية فورية ذات جودة نادرة، حيث يستخلص الفنان "لحظة عابرة" لحركة موقوفة. لقد كشف التصويرالفوتوغرافى أن للواقع طبيعة انتقالية ودائمة التغير، حتى بالنسبة للموضوعات الثابتة نسبيًا. إذ ينتج عن كل اختلاف زاوية النظر أو الضوء، ومع كل لحظة تمر صورة جديدة. وبهذه الطريقة لا تكون صورة شيء فى ضوء الشمس بنفس الصورة مرتين. وهذه التغيرات تفرض على تصوراتنا، مما يجعل مفهوم الزقت يتأرجح. هكذا لعب "الوقت" دورًا أكبربكثيرفى حياة الناس. ولذلك تطلبت السرعات الجديدة فى الحياة جداول زمنية وضبطًا دقيقًا للوقت.

إتيان جول مارى، " هبوط المستوى المائل"(١٨٨٢)

وعلى خلاف الفهم التقليدي للوقت تقنعنا النظرية النسبية للفزيائي"ألبرت أبنشتاين"عن نسبية الوقت طالما"أن الوقت يتسارع أو يبطئ اعتمادا على مدى سرعة تحرك شيءما بالنسبة لشيء آخر. وفى علم النفس أيضًا، تم تحدى المفاهيم التقليدية للوقت من خلال الهوس بأهمية الأحلام، الناشئ عن تفسير"فرويد" للأحلام (١٩٠٢) على أساس أن الوقت فى الأحلام، يمربتغيرات واضطرابات "غيرعقلانية". كما يفتقد الماضى والحاضر والمستقبل تمايزهم، حيث يختبرالحالم شكلاً من السفرعبر الزمن."(محسن عطيه: ٢٠٢٢. ص١٤٩).

لقد ارتبطت القوة السحرية للصورة الفوتوغرافية بتطور تقنيات القرن العشرين. أما التركيبات غير العقلانية في أعمال الفنانين الدادائيين والسرياليين، فإنها الأكثر إثارة للدهشة. حيث أن " المقياس والفضاء المستحيلين والميزات الأخرى في مثل هذا الفن، والتي تتناقض تمامًا مع قوانين الطبيعة الفيزيائية، تبدو بطريقة أو بأخرى معقولة، وربما أكثر مما تفعله الأشكال المماثلة في الرسم والتصوير عندما يتم ربطها بشكل رمزي مع قصاصات من المنطق في شكل صور فوتوغرافية." (Aaron) Scharf:1969,p.75وعلى الرغم من أن التصوير الفوتوغرافي هو في المقام الأول أسلوب نقل التقارير،فإن المفهوم الجديد للتصوير الفوتوغرافي قد أصبح أكثر ليبرالية.

سلفادور دالى "إصرار الذاكرة"(1931)

كذلك منح الرسام السريالى الإسبانى"سلفادور دالى"(١٩٠٤-١٩٨٩) في لوحته بعنوان "إصرارالذاكرة" (1931) فكرة فناء الوقت صورة متمثلة فى ذوبان الساعات باحتشاد النمل. ويظهر فى الصورة أربع ساعات بوضوح، وفى الخلفية صحراء خالية. وشكل الساعات غيرمسطحة كما هو متوقع، بل مثنية وفى حالة مائعة في الصحراء، حتى بدت في حالة ذوبان. ويشيرعنوان اللوحة إلى قدرة "الذاكرة" على البقاء كما هي، رغم مرورالوقت حولها. وقد تكون، الساعات الذائبة والمائلة رمزاً لمرورالوقت غير المنتظم، مثلما نشعر به أثناء الحلم، بطريقة مختلفة عن مرورالوقت فى الحياة اليومية. وأيضًا تشير الساعات المائلة إلى أن الوقت فى عالم الأحلام يصبح اعتباطيًا وغيرمنطقي، ولذا فإن الساعات تذوب .بينما فى الحياة اليومية، يكون الناس فى عجلة،لإنهاء أمورهم فى الوقت المحدد. واللوحة تمثل نوعاً من السخرية من الاهتمام الزائد بالساعات التى تحدد مرورالوقت. رغم نسبية الوقت وتعقده وعدم ثباته، على عكس ما تشير إليه الساعات الميكانيكية. لذلك رسم الفنان الساعات فى لوحته تتلاشى، وكأن الوقت قد هُزم أو فقد معناه. لقد ارتاد "دالي"عالم اللاشعور، بغرض تحريرمكبوتاته من القمع، أما رسمه للوحة "إصرار الذاكرة" فيشهد على الكيفية التي تتحول بها عملية الرسم إلى نوع من الدهشة والإثارة. بسبب التقاء العناصر المتناقضة."وبفضل التوليف أصبحت العناصرالمتناقضة التي اختارها الفنان أكثر تقارباً."(محسن عطيه: ٢٠١١، ص١٤٢) وغالباً يعدل الفنانون وجهات نظرهم فى ضوء النظريات الفلسفية، وبالتالى تتطورعلاقة تفاعلية حول ظاهرة الزمن. وفيما يتعلق

بالتناقض فى منظورمفهوم"الوقت" يقدم الفن أشكالاً ورموزا بصرية تساهم في إدراك التفسيرات المتناقضة للوقت. ومن الصعب فهم الوقت بمقاييس لا يمكن أن تكون مرتبطة مباشرة بحياة الإنسان، مثل فترات زمنية قصيرة للغاية أو طويلة للغاية. ويتطلب الفهم، إدراك حقيقة اختلاف حقيقة الوقتعن تتبعه فى الحياة اليومية. وإدراك أن العلاقات المكانية داخل العمل تتغيربشكل مستمر، مع احتمالات لا نهاية لها. ويبدو الأمر كما لو أننا في كل مرة ننظرإلى نفس العمل نرى عملاً فنيًا جديدا.

وعروض أداء الفنانة الصربية "مارينا أبراموفيتش" Marina Abramović (ولدت١٩٤٦) التى تشتمل على وجهات نظرها وتجاربها الشخصية واستفساراتها الفكرية، تشتمل على اشارات إلى مفهوم "الوقت". فمثلاً ، في عرضها"العلاقة فى الحركة" (١٩٧٧) في باريس، تتحرك "أبراموفيتش مع زوجها أولاي" في اتجاه دائري مرارًا وتكرارًا، حول مربع لساعات، حتى يحل الظلام. ويستمران على ضوء مصابيح سيارة، حتى صباح اليوم التالي. وتذكر "أبراموفيتش" زوجها"أولاي" بصوت عالٍ عدد الجولات المنجزة. وفي صباح اليوم التالي تكتشف العلامات السوداء التي أحدثتها العجلات في الأرض ، فيحاولان تتبع تلك العلامات، ويشاهد العرض فقط المارة . ويتضمن هذا الأداء مفهوم "الوقت" كفكرة فى حالتين، الأولى هى"الوقت" الواضح الذى يمثل مدة الليلة التى حدث فيها الأداء، والثانية هى "الوقت" الذى تم التأكيد عليه فى كل مرة صرخت فيها "أبراموفيتش" بعدد اللفات المنجزة. فى الحالة الأولى، تعاملت الفنانة مع "الوقت" كإطار لتقديم أدائها الذى كان واضحاً طوال العرض. وفى الحالة الثانية، اتخذ الوقت شكل الفضاء والحركة معًا. بعبارة أخرى ، أضفت الفنانة على كل من المكان والحركة طبيعة الزمن. وفي أداءً آخر بعنوان "العلاقة فى الزمن" ١٩٧٩ يجلس الزوجان "أبراموفيتش" و"أولاى" فى مواجهة بعضهما البعض، وشعرهما مربوط معًا، كرمز لترابطهما. استمرت مدة أدائهما ١٦ ساعة فى صالة عرض بدون أى جمهور، وخلال اليوم السابع عشرسمح للجمهوربمشاهدة الأداء. كان الزوجان لا يزالان جالسين بلا حراك فى هذه الساعة الأخيرة. خلال كل هذا الوقت لم يكن هناك سوى القليل من التغييرات فى وجودهم. إن "الضفيرة المشتركة بينهما، تعمل بشكل فضفاض مع "مرورالوقت".ومع ذلك هناك تباينًا مع الترابط الخارجى

فى انفصالهما نفسيا ومشاعريا. ويكشف نهجما معاً عن حقيقة أن الوقت يأخذ شكل الدمار والفساد والضرر.وتمثل الزوجان العلاقة الزوجية التى هى الموضوع الرئيسى لأدائهما إشارة إلى الوجه القبيح للزمن الخوف الداخليمن الزمن في حياة الإنسان ، مما يتسبب في شيخوخة الكائنات الحية. في حالة أبراموفيتش ، "لم يعد الوقت يقود إلى مسار مهدد بالشيخوخة والموت والنهاية: إنه قابل للتكرار".

أبراموفيتش مع زوجها أولاي،العلاقة فى الزمن ١٩٧٩

هناك تاريخ طويل من تعاون الفنانين البصريين مع فنانين من تخصصات أخرى مثل الموسيقيين ومصممي الرقصات وفناني الأداء. بالإضافة إلى ذلك ، هناك علاقات طويلة الأمد بين الفنون المرئية والفنون الأخرى.

تشمل الوسائط المعتمدة على الوقت فى الفن البصرى على الأفلام والفيديو وفن الأداء وفن الوسائط الجديدة وفن الإنترنت وألعاب الفيديو. وفن التركيب الذي يشتمل على عناصر فيديو أو رقمية أو صوتية أو عناصر زمنية أخرى

ويتضمن فن الأداء المعاصر في الستينيات كوسيلة تجريبية استخدام أفعال الفنان كوسيط فني، بدلاً من إنتاج عمل فني مادي. تم تطوير فن الأداء من قبل كل من النساء والرجال ، ووفر فرصة أكثر تكافؤًا للفنانات في ذلك الوقت تميل القطع الفنية في الأداء المبكر إلى أن تكون جذرية واستفزازية، وهي تجربة لا تنسى للمشاه1974 Nam June Paik TV Buddha فيديو تركيب الدائرة المغلقة مع نحت برونزي في هذه القطعة، ابتكر Paik -لحظة تشبه الزن حيث سجلت كاميرا دائرة مغلقة تمثالًا ثابتًا لبوذا "يشاهد" نفسه على التلفزيون.

نام جون بايك تي في بوذا ١٩٧٤ مع منحوتة برونزية

وأرادت الفنانة البرازيلية"نيل أزيفيدو" Néle Azevedo توسيع فكرة الوقت ن خلال دمج الوقت في عملها، كما لو كان عنصرًا فنيًا، إذ بدون عنصرالوقت، سيفقد عملها معناه. وقد نحتت آلاف الشخصيات من الجليد كعمل تركيبي في ساحة تشامبرلين(برمنجهام، انجلترا) وتركتهم في الشمس لتذوب. على الرغم من أن العمل تم إنشاؤه في الأصل لغرض مختلف ، فقد تبنى أزيفيدو حقيقة أن الناس رأوا فيه أيضًا تعليقًا على قضية الاحتباس الحراري وذوبان القمم الجليدية القطبية خلال السنوات القادمة. و فكرة الوقت، وارتباطها بالشمس تمثل قوة هذا العمل الفني "وبدون عنصرالوقت ، تفقد القطعة معناها."(محسن عطيه: ٢٠٢٢، ص١٥١) وعادة تكون

الأفكارالبسيطة حول فكرة الوقت تمثيلية، مثل رسم ساعة أو رسم شاب ثم شخص كبير فى السن. أما الأفكار الأكثر تعقيدا فهى تنتج بعد محاولات استكشاف ما يحدث بمرورالوقت، حيث أن الأشياء تنمو،أو تتدهور، أو تتحرك من نقطة إلى أخرى. ويمكن للزمن أن يمحو الذكريات بالمعنى السلبي، لكن مرورالوقت يشفي أيضًا. فمع مرورالوقت، يتم تهدئة غضبنا وألمنا وخسارتنا وتجاهلها ونسيانها.

نيل أزيفيدو، تركيب في ساحة تشامبرلين، برمنجهام، انجلترا (٢٠١٤)

كذلك أراد الفنان المفاهيمى اليابانى "أون كاوارا On Kawara" (١٩٣٢-٢٠١٤) أن يستكشف بعمله "سلسلة زمنية"مرورالزمن وآثاره. وهوعبارة سلسلة لوحات تتكون كل لوحة فقط من تاريخ إنشاء العمل، مكتوبة بخط اليد بدقة رائعة بأحرف بيضاء على خلفية بألوان مختلفة. وتحدد هذه اللوحات أيضًا الاختلافات فى اللغة والجغرافيا، وتشير إلى أن السمات الثقافية قد تكون أيضًا مكونات للتجربة الذاتية للوقت.

وكان الفنانً البولندى "رومان أوباتشكا" Roman Opałka (١٩٣١-٢٠١١) قد اتبع منذ عام ١٩٦٥، نهجا متسلسلاً وصارما فى ممارسة الفن من خلال النظم والرياضيات، بكتابة تعليقات للأرقام من واحد إلى ما لا نهاية، من الزاوية العلوية اليسرى، وانتهاءً بالزاوية السفلية اليمنى من اللوحة. وأطلق على كل لوحة جديدة اسم "التفاصيل"(∞-1965/1) ، بدأت فى العد من حيث توقفت الأخيرة. أكمل العمل سنة ٢٠١١، ووصل إلى الرقم ٥٦٠٧٢٤٩. وكل "تفصيل" بنفس الحجم (١٩٦× ١٣٥ سم) وهو يمثل أبعاد باب مرسمه. لم يكن للمشروع نهاية محددة، وكرس الفنان حياته لتنفيذه المستمر. كل أعماله هي شيء واحد، الوصف من رقم واحد إلى ما لا نهاية، كطريقة لتصورالوقت. وفى عام ١٩٦٨ أضاف لعمله جهاز تسجيل، حيث يتحدث عن كل رقم فى الميكروفون أثناء رسمه، وبدأ أيضًا فى التقاط صور لنفسه واقفاً أمام لوحته بعد كل يوم عمل.

رومان أوباتشكا،"التفاصيل"∞-1965/1)

وفي مجال فن الفيديو عرض"كريستيان ماركلى" Christian Marclay(ولد١٩٥٥) فى لندن سنة ٢٠١٠ "فيديو" مدته ٢٤ ساعة بعنوان "الساعة "، وهو عبارة عن توليف مركب من مشاهد مقتطعة من الأفلام السينمائية والتلفزيونية، تظهرالأشخاص الذين ينظرون إلى ساعاتهم. كذلك

يعمل الفيديو نفسه كساعة، حيث يتزامن المحتوى المعروض مع التوقيت المحلى، أى أن الوقت المعروض فى المشهد هو نفسه الوقت الفعلى. وكان "ماركلى" قد قضى عامين فى ربط الأجزاء الصغيرة المستخرجة من اللقطات من الأفلام الشهيرة والإعلانات التلفزيونية. ويظهر عمله وكأنه فيلم سريع الخطى، مثل الشخصيات الخيالية فى الفيلم، التى تتحقق باستمرارمن الوقت، كمعادل لحالة القلق الإنساني تجاه الوقت فى الحياة المعاصرة.

ومن أعمال الفنانين التي من المفترض أن تتغير بمرورالوقت، النوع الذي يشترط لتجربته العودة فى وقت لاحق لمعرفة ماالذي سيحدث، على اعتبار أن ما سيحدث غير متوقع للغاية. وغالباً تكون النتيجة النهائية شكلاً مختلفا تمامًا، وأحيانًا مادة مختلفة، تعمل كدليل على تاريخ وجودها والتغييرات التي حدثت. هذا النوع من الأعمال الفنية سريع الزوال وأحيانًا، في النهاية، لا يتبقى سوى ذكرى. ويمكن أن يتضمن هذا النوع من العمل الصفات المادية لمادة، مثل الجليد أوالماء، أو يمكن أن يحدث في مكان ما في البيئة حيث رتب الفنان عناصر مختلفة، وسمح للعمل بإدارة دوراته الطبيعية.والفنان البريطاني "أندي جولدزورثي" Goldsworthy Andy(ولد١٩٥٦) معروف بتركيباته الخاصة بالمواقع، إذ يقوم بإنشاء عمل فنى من الموادالمحلية فى المكان الذي يعمل فيه. وهذه المواد الطبيعية تتغير بمرور الوقت،مثل الجليد أو الثلج ، ويتم وفي عام ٢٠٠٣ أنتج "جولدزورثي" عملاً مُكلفًا بساحة دخول متحف "دي يونج" في سان فرانسيسكو بعنوان "الحجر المرسوم" ، والذي يحاكي زلازل "سان فرانسيسكو" المتكررة وآثارها. ويتضمن تركيب العمل صدعًا عملاقًا في الرصيف الذي انكسر إلى شقوق أصغر، وحجر كلسي مكسور يمكن استخدامه للمقاعد. تم عمل الشقوق الأصغر بمطرقة مما زاد من عدم القدرة على التنبؤ بالعمل أثناء إنشائه.

جولدزورثي "الحجر المرسوم"٢٠٠٣

وتتضمن مطبوعات المحفورات الخشبية الضخمة المبنية على لقطات "الفيديو" للفنانة الألمانية المعاصرة "كريستيان بومجارتنر" Christiane Baumgartner (ولدت ١٩٦٧)مفهوما عن التقاط الوقت في الفن، وفي عملها "ثانية واحدة" وثقت فيها ثانية واحدة بالفيديولسلسلة من ٢٥ مطبوعة . ومن الواضح أن اهتمامها بالمحفورات الخشبية لأسباب مفاهيمية تتعلق بالجمع بين الوسائط المختلفة بتراكيب الفيديو والمحفورة الخشبية، فهي بذلك تجمع بين تقنيات الاستنساخ االقديمة والأحدث من خلال" الفيديو" كاستعارة للسرعة والتوقف من أجل إنتاج صورة. وفى سنة ٢٠٠٩،عرضت مطبوعاتها الخشبية الضخمة أحادية اللون التي تتناول مفاهيم الوقت والحركة والسرعة والتسارع. والعملان الثنائي"بروج I& II "، ظهرا في نفس الطريق السريع الليلى، لكن يفصل بينهما بضع ثوانٍ فقط. لقد وضعا المشاهد خلف عجلة القيادة فى سيارة متحركة، حيث يبدو أن مصابيح الشوارع تضيء بسرعة، ويمكن إطفاء المصابيح الأمامية من مسافة بعيدة. يبدأ عملها باختيار صورة من لقطات فيلم موجودة وتقوم بتصويرها من شاشة التلفزيون. تظهرالخطوط المحببة للشاشة فى صورها النهائية. ثم تطبع الصورة وتنقلها إلى قالب خشبى وتبدأ فى الحفر. تصف عملية حفرالخشب بأنها تأملية وتستغلها الفنانة كوقت للتفكير. وما تهتم به الفنانة فى الغالب هو "التحول داخل المحفورة الخشبيى والطريقة التى تغير بها

الصورة لتصبح غير واضحة وغير تشخيصية". على سبيل المثال ، فى " ثانية واحدة" تختفى الصورة عند نقاط وتصبح غير واضحة من خلال تمثيل السرعة. يتم التقاط الصور الأخرى بدقة منخفضة جدًا، ونتيجة لذلك، فإن تأثيرالطباعة يخلق صورة مجردة ، كما يحدث فى عملها "دويتشر والد" . في عالم تحكمه السرعة، يحاول "بومجارتنر" إبطاء طريقة معالجة المعلومات لتعكس بش هناك الكثير من الحركة في حياتنا الجسدية أكثر مما كانت عليه قبل ٢٠ عامًا. ولكن أيضًا وقت المعلومات والاتصالات قد تسارع بشكل كبير. نظرًا لأننا نتوقع مثل هذه الردود السريعة على اتصالاتنا ، فإننا نفقد الوقت لعملية التفكير وأيضًا لتحديد الأولويات حقًاكل أفضل الطريقة التي يعيش بها الناس في الوقت الحاضر من خلال اختيار نقش الخشب كوسيلة للتعبير، تؤكد أن هذه هي طريقتها في تمثيل الوضع المعاصر. تعمل مطبوعاتها ، التي تستغرق وقتًا طويلاً لإنجازها ، على إبطاء الوقت بشكل فعال من خلال إطالة لحظة تكوين الصورة من ثانية وجيزة ، وهى فى هذه الحالة لا يزال الفيديو، إلى أشهر كاملة ، حتى يصبح العمل النهائى جاهزا. لقد خلق الإنسان السرعة من أجل ضغط الحياة داخل البيئة الحضرية. والوقت يضغط على المواطن المعاصرمثل الحركة فى "الفن" ويتم عرضها من خلال ضغط الخطوط. فإذا تابع المرء ساعة الذروة فى مدينة ما، فسوف يلاحظ كيف أن الحركة فى العقلى مماثلة أو تعني الوقت. أى أن الشخص العابر هو رمز لتمضية الوقت. هذا هو السبب فى أن الوسيط سريع التجهيزمرتبط بتعقيد مرور الوقت. ويتم تغيير الثبات في الوسيط من خلال الحركة التى يتم تصويرها. بنفس المنطق، يتم تغيير ثبات البيئة من خلال الحركة البشرية نفسها. فى إحدى طبعات "كريستيان بومجارتنر " ، ستكون الملاحظة الدقيقة نقطة انطلاق لإدراك الوقت المتحرك فى تصوير ثابت، بينما تؤكد على حقيقة أنها تستخدم "وسيطًا بطيئًا مثل" طبعة محفورة خشبية للتعبير عن فكرة سريعة.

.

كريستيان بومجارتنر "دويتشر والد"،٢٠٠٧.

و"مارينا أبراموفيتش" ، Marina: كيف يمكن استخدام وسيطين متناقضين ، وهما ؛ الطباعة والأداء ، تعامل مع نفس الموضوع وما هي نتائج اللغتين المرئيتين اللتين تظهران فى تصويرالإحساس بالوقت؟ إن بحد ذاته ليس فقط متغيرًا ينعكس فى الوسائط نفسها، ولكن أيضًا فى المحتوى. بمعنى آخر، يتم تصوير نقيض الزمن أيضًا على المستوى النظرى. وبينما تستخدم "كريستيان بومجارتنر" الإيهام باستمرارية الحركة، وبالتالى الإيهام بـ" الوقت" من خلال تجميده، تتعامل "مارينا أبراموفيتش" مع الجانب الفعلى والحقيقى لـ"الوقت" من خلال إطالة مدة الحدث. ومن ثم ، هناك منظور متباين فى تصوير وتقديم "الوقت" الحقيقى والإيهامى، أى الوقت الذى يتكون من نسج الواقع والخداع. تشتمل مسألة "الوقت" إلى جانب العامل "الفيزيقى"، على عامل آخر، تناولته موضوعات الفلسفة والأنثروبولوجيا مما ساهم فى توسيع الفن نفسه، حيث كان الفن يعتبرسمة ثقافية أساسية. ويمكن إدراك الوقت من خلال تقسيمه إلى فئتين، كما هو الحال فى الأطرالفلسفية والاجتماعية، أى فى شكله "الحقيقى" وفى شكله "غيرالحقيقى" غيرالواضح تمامًا. على سبيل المثال، يلاحظ أن إدراك الوقت الذى يقيس الفترات الزمنية، يختلف عن إدراك الوقت كممثل للوعى. إن موضوع بحث الفنانين لتحديد الإحساس بمرورالوقت يتحقق عبر أبعاد بصرية عديدة حيث يبدو"الوقت" موجودا وفى نفس الوقت "غيرموجوده"

(غيرواضح)، إذ أن إدراك"الوقت" يتحقق فى كل مرة من خلال النظرة الجمالية للفنان. وأحد الأمثلة هو مفهوم "الوقت" كما يفهمه معظم الناس، أو الرمزالذى يمثل "الوقت" وهو الساعة" كاختراع يهيئ البشرلتنظيم وتخطيط حياتهم اليومية. من ناحية أخرى، هناك قياس"الوقت" بيولوجيا أوطبيعيا وهو يصاحب البشرطوال حياتهم. ويمكن وصف هذين المثالين المتناقضين بالزمن الخارجى والزمن الداخلى. ويتحدد الأول من خلال صوت عقرب الثوانى والآخر بواسطة نبضات القلب. ومع ذلك، فإن تناقضهما لا يمنع تفاعلهما، ويتوقف الأمر على المنظورالبصرى لخصائصها.

وكذلك يتعامل الفنان البلجيكى "فرانسيس أليس" Fransis Alys (مواليد ١٩٥٩) الذى يعيش فى مدينة "مكسيكو"مع مفهوم الوقت بطريقة مختلفة ، حيث فى أدائه المسجل بالفيديو بعنوان"مفارقة التطبيق " يعبر "أليس" عن عدم جدوى الوقت والجهد، وذلك بأن يدفع كتلة كبيرة من الجليد فى شوارع مدينة "مكسيكو" لمدة ست أو سبع ساعات حتى يذوب. إنه فيلم عن التحول، لكنه يتحدث أيضًا عن عدم جدوى الجهود التى يبذلها البشر. إنه نوع ملحمى من "عدم النفع" يحول جهوده التى لا معنى لها على ما يبدو إلى حدث بطولى تقريبًا. والعنوان الفرعى للعمل هو " لا شىء مقابل لا شىء"يشيرإلى الفكرة التى تتحدث عن الجهود المحبطة التى يبذلها سكان "مكسيكو سيتى" كل يوم لتحسين ظروفهم المعيشية.وهذا الأداء يرتبط ارتباطًا وثيقًا بمفهوم الوقت أيضًا نظرًا لطبيعته. ولطالما اهتمت الفنانة بالسرعة، من حيث الموضوع والتقنية.

ويمكن للفنان أن يعبر عن "شكل الزمن" الذي تشكل في عالمه الداخلي، وبأسلوبه ولغته الفنية الخاصة. وعلى عكس التركيز على طريقة التفكير المنطقية والعقلانية، هناك قيمة أعلى تتحقق بالتركيز على المشاعر والحدس ، كسبيل للجمالية المختلفة ولرمزية الصحوة الروحية و العيش في اللحظة ، وفي الحياة المتغيرة باستمرار. كذلك في لوحة"مرة واحدة"(٢٠٢٠) التي رسمها "محسن عطيه"الماضي والمستقبل موجودان في الحاضر، الماضي من خلال آثاره الباقية، والمستقبل من خلال النبوءة المرئية في الوقت الحاضر. وحيث الرسم لا يتبع النموذج العقلاني ، ولا يتقيد بالفهم التقليدي

للرؤية، وإنما يتوق إلي قدرته على التأثير الفوري وبقوة، حيث أن" المحتوى لا ينفصل عن الإحساس الحقيقي بالفورية." (Ades, D. ,2004,P.17) ويتجلى في هذه اللوحة التعبير كوحدة بصرية مكثفة، وكتبسيط جليل،لمعنى الإحساس بالفورية. وعنما تثيرالألوان في اللوحة التجريدية الإحساس بالشفافية واللانهاية المكانية، يستطيع المشاهد التفاعل معها كتجربة فورية لها حضورها المحسوس والحركة عبر الزمن، وتعكس إرادة الفنان ضمن سياق بصري ،حيث لم تقنية الرسم تولد فقط اللعب الحسي الحر، وإنما تفترض استجابات آنية، أكثر سهولة في التعامل مع المعاصرة. وحيث يتجانس الحدس مع المفهوم، بتجاوزه الإحداثيات المكانية والزمانية، لتحقيق "السامي"، الذي يتصف بكثافة بصرية، تحدثها عملية استرجاع جمالية الحداثة في حاضرما بعد الحداثة، كزمنية متجانسة. وبذلك يظهر العمل الفني ارتباطات غيرمتوقعة بين الذاكرة والمعنى، بسبب عدم تقيد التقنية الفنية بالنطاق الداخلي الخالص، وكذلك بسبب عدم تثبيت التجربة في وعي متعالي معزول. إذ أصبحت التقنية مفتوحة على الجمالية التي تصف العلاقة المختلفة بين المفهوم والحدس.

محسن عطيه،"مرة واحدة"(٢٠٢٠)

كذلك الفنانة اليابانية "مينيكو جريمر" Mineko Grimmer (ولدت ١٩٤٧) تستخدم الوقت والجاذبية والصوت في عملها التركيبي بعنوان"صندوق الموسيقى الماهوجني" (١٩٨٩)مثل آلة موسيقية لديها القدرة على العزف على نفسها، يتركب من تتدلى كتلة هرمية من مئات الحصى متجمدة، معلقة فوق إطار من أعمدة الخيزران وأوتار الجيتار ومع ذوبان الثلج، تتحرر قطع الحصى. وعندما تسقط فوق جهاز مصنوع ، وسقوط الماء والحجارة على القاعدة، يتسبب ذلك في اهتزاز الأوتار الخشب والخيزران وأوتار الجيتار ، فإنها تنتج أصواتًا ذات جودة موسيقية. ومن خلال الصوت، يتخلل الصمت. هكذا استخدمت الفنانة فكرة الوقت في عملها. أما عدم التحديد (هل ستسقط حصاة واحدة أو اثنتين أو ثلاث أو أكثر مرة واحدة؟) فإنه يضع المشاهد في حالة تأهب شديد، على حافة الصمت، بين الصوت المتعمد وفي نفس الوقت عشوائي، أي فكرة الصوت الذي تقوده الصدفة. وقد رتبت الفنانة الجهاز بعناية، بحيث يتم تشغيله بواسطة قوى درجة الحرارة والجاذبية والوقت. ويصبح العمل كمنحوتة وأداة، عندما يتم تفعيله بواسطة الحصى المنبعثة من الهرم الذائب. وكانت "مينيكو" تصنع منحوتاتها الحركية المنتجة للصوت منذ عام ١٩٨٠. وتتبع معظمها صيغة شحذتها باستمرار، وكل منحوتة فريدة من نوعها.

مينيكو جريمر "صندوق الموسيقى الماهوجني" (١٩٨٩)

وقد انتقل موضوع الوقت كفكرة نفذها "جوزيف كوزوث" Joseph Kosuth(ولد ١٩٤٥) بعنوان "الساعة واحدة وخمسة"(١٩٦٥) كفكرة مكونة من ثلاثة أجزاء (فوتوغرافيا وساعة تدق وتعريف للساعة)إلى عمل ما بعد المفاهيمي للأمريكي " فيليك جونزاليس - توريس" Félix González-Torres بعنوان "عشاق مثاليون" (١٩٩١)"فهو عبارة عن ساعتين متطابقتين اشتراهما من المتجر، تعملان بالبطارية ووضعهما بالقرب من بعضهما البعض، بعد ضبطهما في البداية على نفس الوقت، ولكن بمرورالوقت، تظهر بينهما الفروق" (الفن المعاصر.. ماهو؟ ص١٤٣) ومضمون العمل حول" التزامن المثالي للوقت" متمثلاً بين شيئين في مكان واحد مقدر لهما في النهاية التوقف عن التزامن.

فيليك جونزاليس - توريس " عشاق مثاليون (١٩٩١)

لقد ثبت أن الزمن ورموزه مثلما شغل العلماء والفلاسفة كذلك فتن الفنانين منذ زمن سحيق. والأمثلة الفنية عبر التاريخ وتعكس نسبية علاقة الإنسان بفكرة مرور الوقت ، وتناولوها في إبدعاتهم الفنية بطرق مختلفة ،غامضة وجميلة ومثيرة، على أساس أن هذه العلاقة شخصية ومتنوعة مثل أي علاقة أخرى. ولأن الفن يعد جزءًا من كل ثقافة في العالم بشكل أو بآخر، وأن الفن

هو المرآة الحقيقية لعقول الشعوب. ومن الفن المعاصر الأعمال الفنية التي تعتمد على الوقت، مثل أعمال الفيديو والأعمال الفنية الصوتية والأعمال الفنية التركيبية، والأعمال المعتمدة على الكمبيوتر والأعمال الفنية الميكانيكية.

المراجع:

١- آلان باونيس : الفن الأوروبي الحديث، ترجمة فخري خليل ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٤.
٢- -محسن عطيه،: الفن والجمال في عصر النهضة ، عالم الكتب،٢٠٠٢.
٣- ---------- : التفسير الدلالي للفن، عالم الكتب، ٢٠٠٧.
٤- ---------- : التجربة النقدية في الفنون التشكيلية، عالم الكتب، ٢٠١١.
٥- ----------: الجماليات.. لماذا؟ في الفن الحديث وما بعد الحديث،عالم الكتب،٢٠٢٠.
٦- ----------: الفن المعاصر..ماهو؟ المفاهيمية وما بعد المفاهيمية.عالم الكتب٢٠٢٢.
٧- Aaron Scharf:Creative Photography,Studio Vista , L0ndon.1969
٨- Ades, D, 'Art of the Twentieth Century' Jason Gaiger and Paul VVood. London.2004
٩- John J. Ciofalo:The Self-Portraits of Francisco Goy .Cambridge University Press (2001)